



منهج ابن إطفيش الإباضي في تفسير آيات العقيدة من خلال تفسيره: تيسير التفسير

Teysiru't-Tefsir Adlı Tefsirinde Akide Ayetleri Bağlamında İbn Atfayyış El-İbadî'nin Metodu

Dr. Öğr. Üyesi. Abdulsalam YOUSSEF

Mardin Artuklu Üniversitesi, Temel İslam Bilimleri, Mardin/Türkiye

ORCID ID: 0000-0001-6522-8709

Cite As: Youssef, A. (2021). "منهج ابن إطفيش الإباضي في تفسير آيات العقيدة من خلال تفسيره: تيسير التفسير", International Social Mentality and Researcher Thinkers Journal, (Issn:2630-631X) 7(40): 138-152.

ملخص

إن التفاسير في العالم الإسلامي كثيرة جداً، وليس عند أهل السنة فحسب، بل عند بقية الفرق الإسلامية، لكننا لسنا على اطلاع كافٍ عليها. ومن هذه الفرق الإباضية، فهي فرقة إسلامية لها جذورها التاريخية القديمة، وأتباعها ليسوا خوارج، كما ينعتهم كثير من الباحثين، وهم - الإباضية - يتبرؤون من الخوارج. وكذلك تملك الإباضية تراثاً علمياً كبيراً منطلقين من أصول خاصة ومنهج معين لا يصح الإعراض عنه ولا تجاهله، لذا حاولت في هذا البحث أن أسلط الضوء على أهم تفسير إباضي في القرن الرابع عشر، وهو تفسير (تيسير التفسير) لمؤلفه ابن أطفيش الإباضي المتوفى سنة 1332 هـ وقد اقتصر في بحثي هذا على دراسة الجانب العقدي، مقارنة كل ذلك بتفاسير أهل السنة والجماعة، لنصل في النهاية إلى أهم يتفقون معنا في مواضيع عقديّة كثيرة، و يختلفون في بعضها الآخر، ولكننا لا نملك أن نخرجهم من الملة والدين، كما يذهب أتباع بعض التيارات.

ÖZET

Aslında İslam âleminde çok sayıda tefsir vardır. Hepsini hakkında yeterince bilgi sahibi değilsek de sadece Ehlisünnet mensuplarında değil diğer İslam fırkalarında da tefsirler çoktur. Bunlardan biri İbadiye fırkasıdır. Bu fırka kökleri eskilere dayanan İslami bir fırkadır. Birçokları tarafından tabiilerinin hariciler olduğu söylense de onlar bunu kabul etmeyip haricilikten teberru ederler. İbadiye, kendilerine özgü bir usul ve metottan doğmuş büyük bir ilmi kültüre sahiptir. Bu kültürden yüz çevirip ondan habersiz olmak doğru değildir. O nedenle bu çalışmada 14. yüzyılın önemli İbadi tefsirlerinden biri olan İbn Atfayyış el-İbadi'ye (ö.1332) ait "Teysiru't-Tefsir" adlı kitaba ışık tutmaya çalıştık. Çalışmayı Ehlisünnet tefsirleriyle karşılaştırmalı olarak akide konusuyla sınırlı tuttuk. Onların, neticede birçok konuda Ehlisünnetle müttefik olduklarına bazı konularda da ihtilaf ettiklerine ulaştık. Bazı akımların yaptığı gibi sonuçta onları İslam milletinden ve dinden ihraç etme yetkisine sahip değiliz.

Anahtar Kelimeler: Metod, el-İbadiye, Hariciler, Akide Ayetleri, Te'vil

ABSTRACT

There are many interpretations in the Islamic world, And not only for Ahl al-Sunnah, even at the rest of Islamic teams, but we are not sufficiently informed. Among these teams: Ibadî, it is an Islamic sect with ancient historical roots. And their followers are not Al khawarij, as many researchers call them. And they - (Ibadi) - disavow Al khawarij. Likewise, Ibadî possesses a great scientific heritage, stemming from special origins and a specific curriculum, which cannot be excused from or ignored. Therefore, I attempt in this research to focus light on the most important interpretation of Ibadî in the fourteenth century, It is an interpretation (tiysayr altafsir). In this research, I have been confined myself to studying by Ibn Tfayyesh al-Ibadi, who died in 1332 AH. The doctrinal aspect, that comparing the interpretation of Ahl al-Sunnah and Jama'ah.

Finally, let us come to the conclusion that they agree with us on many contractual issues, and differ on some of them, but we cannot take them out of religion, as such followers go some currents. I have called the research: Ibn Tfayyesh al-Ibadi method in the interpretation of verses of the faith through its interpretation (tiysayr altafsir).

Key Words: Method – Ibadî – Al khawarij – Verses of the Faith – Interpretation

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم وبعد:

فإن تفسير كتاب الله لم ينقطع في فترة من فترات التاريخ، ومع اختلاف الأمة إلى فرق ومذاهب زادت التفاسير باختلاف المنطلقات والمناهج، وذلك أن الفرق بمجمليها كانت تريد إثبات وجودها، ومنحها الشرعية، وأفضل سبيل إلى ذلك هو كتاب الله. لذا كان موضوع التفسير في غاية الأهمية والخطورة.

ولقد تعرفنا على التفاسير التي كان المنطلق العقدي السني مرجعاً أساسياً لها، وهي متداولة بين أيدي الناس، غير أن معرفتنا بتفاسير بقية الفرق الإسلامية لم يكن كذلك، وهي تكاد تكون مجهولة لدى غالبية المسلمين، ومن هذه الفرق: الإباضية، فمع أن هذه الفرقة قديمة الظهور على مسرح الأحداث في العالم الإسلامي، وشغلت حيزاً كبيراً في يوم من الأيام، إلا أن إحاطتنا بتراثها لا سيما التفاسير لا تكفي ولا تفي بالغرض. لذا أردت في هذا البحث أن ألقى الضوء على أهم تفسير إباضي في القرن الرابع عشر، وهو تفسير: تيسير التفسير، لمؤلفه ابن أطفيش الإباضي، والذي يعد الصوت التفسيري الأهم عند فرقة الإباضية. وذلك من خلال كيفية معالجته للآيات التي تتحدث عن العقائد، لنرى كيف فسرها، وما أصوله في ذلك، ثم ما هو تفسيرنا نحن أهل السنة لتلك الآيات.

إذن: يهدف البحث إلى:

المقارنة بين منهج الإباضية ومنهج أهل السنة في معالجة تفسير آيات العقائد.

والأسباب التي دفعتني إلى الكتابة في هذا الموضوع هي:

الأول: عدم وجود صورة واضحة عن فرقة الإباضية عندنا، بل هو موضوع يلفه الكثير من الغموض الثاني: ما رأيته من خلط بين فرقة الإباضية والخوارج، حتى ذهب كثير من الباحثين إلى أنهما واحد لا فرق بينهما، ومن ثم رأينا الحكم على الإباضية هو الحكم عينه على الخوارج، من تبديع وتفسيق وأحياناً إخراج من الملة، وهو أمر غير سليم ولا دقيق.

الثالث: تصحيح المفهوم القائل عندنا - أهل السنة - أن تفسير: هيمان الزاد هو أهم تفسير معتمد عند الإباضية. والحق أن جميع من كتبوا هذا الكلام قد نقلوا عن المرجوم محمد الذهبي الذي وقف عند التفسير، مؤكداً أنه الصوت التفسيري المعتمد عند الإباضية، غير أن هذا الكلام ليس دقيقاً، فد (هَمَيَان الزاد)، وهو أيضاً لمؤلفه ابن أطفيش، كان قد كتبه المؤلف في أيام شبابه وذرورة عنفوانه، حيث التعصب للمذهب، وضيق الأفق، وقلة الزاد، وهذه أسباب كافية لأن يراجع الإنسان ذاته، فيعدل من صياغة عباراته، ويكتب بعد تجربة غنية من التدريس والدراسة، لذا كان تفسير تيسير التفسير هو المعتمد الأساس عند الفرقة، كما أخبرني بذلك أحد علمائهم. فابن أطفيش شرع في تفسيره تيسير التفسير بعد أن قويت شوكة العلم عنده، وبعد أن استوى على سوقه، ونضجت عنده الأفكار واختمت.

وقد أدت البحث على مقدمة وفصلين وخاتمة

أما المقدمة ففيها بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومن ثم الخطة الموضوعية، وكذلك المنهج المتبع، وحدود البحث، والدراسات السابقة.

وأما الفصل الأول: فن عن فرقة الإباضية وتاريخها وأصولها، وذلك من خلال مبحثين اثنين

المبحث الأول: سبب التسمية، نشأة الفرقة، وعلاقتها بالخوارج.

المبحث الثاني: الأصول عند الإباضية.

الفصل الثاني: تفسير تيسير التفسير، ومنهج صاحبه من خلال مبحثين اثنين

الأول: ترجمة ابن أطفيش، وتعريف موجز بالتفسير.

المبحث الثاني: منهج ابن أطفيش العقدي (الجانب التطبيقي)، وذلك من خلال تفسيره للآيات التي انتصر فيها لمذهبه

المنهج المتبع:

إن طبيعة البحث الذي بين أيدينا توجب علينا سلوك المنهج التاريخي الوصفي

وكذلك المنهج التحليلي الاستقرائي من خلال تتبع تلك المواطن.

والمنهج المقارن الذي يقارن بين ما قاله ابن أطفيش وما قاله أهل السنة في تفسير الآية عنها.

حدود البحث: يقتصر البحث على إعطاء نبذة مختصرة عن فرقة الإباضية، ومن ثم الحديث عن منهج ابن أطفيش التفسيري لأهم الآيات التي تتحدث عن

العقيدة ومقارنتها بما عند أهل السنة في المواضع نفسها.

الدراسات السابقة: البحث عن التفسير عند فرقة الإباضية فقيرٌ ومقتصد للغاية، فكل الذين كتبوا - من خلال تصفحي وبحثي عن المراجع - كتبوا عن جميع التفاسير، ولم أجد من خص تفسير التيسير ببحثٍ مستقلٍ ناهيك عن كتاب في ذلك، والذين كتبوا أيضاً لم أجد عند أكثرهم روح الموضوعية العلمية، بل رأيت أسلوباً عنيفاً تجاههم، متهمهم بالمعتلة، الذين يؤولون آيات الصفات، ومخرجينهم أحياناً من الملة، وأنهم الخوارج الذين صحت فيهم الأحاديث بأنهم يمرقون من الدين، لكن مع ذلك وجدت شيئاً جيداً في حقهم، وهو أيضاً لم يكن ليخلو من الانتصار لفكرٍ وجماعة والطعن في الإباضية، جملةً وتفصيلاً.

وأهم بحثين في ذلك كانا:

- الإباضية عقيدة ومذهبا، لد. صابر طعيمة، وهو بحث في مجمل التفاسير الإباضية، قديماً وحديثاً، وقد ورد عنده اسم تيسير التفسير غير مرة.

- الإباضية وتأويل القرآن الكريم في القضايا العقدية وموقف أهل السنة، لأحمد سليمان الأطرش و يوسف العواضي، وهو قريب جداً لسابقه، من حيث المضمون والمنهج.

فأهل السنة في البحثين أولئك الذين اجتنبوا تأويل آيات الصفات؟!.

لذا رأيت أن أقف عند أهم تفسير إباضيٍ لعالمٍ متأخر، والمنهج الذي سار عليه، بعيداً عن مصطلحات الضلالة والتبديع والتفسيق.

الإباضية: النشأة والتاريخ:

إن الحديث عن الإباضية لا يكتمل في صورته الأخيرة إلا بالحديث عن الخوارج، فالعلاقة بينهما متداخلة، والخروج بنتيجة واضحة ليس بالأمر الهين، لأننا نقف عند رأيين مخالفين تماماً، فالإباضية في كتب أهل السنة، لا سيما المؤرخين وكتّاب الفرق يجعلونهم من الخوارج، يسري عليهم من الأحكام ما يسري على الخوارج، وفي الطرف الآخر نجد الإباضية أنفسهم يرفضون هذا الأمر ويعدونها تهممة مقصودة من خصومهم هم برأء منها. لذا كان علينا أن نعود إلى الجذور.

إن مما هو متفق عليه بين جميع المسلمين أن ظهور الخوارج كان عقب التحكيم في معركة صفين بين الخليفة الشرعي علي بن أبي طالب عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان، حيث التقى الجيشان في صفين سنة 36 هـ واستعرت نار الحرب، وكادت الغلبة أن تكون للإمام علي غير أن عمرو بن العاص نادى في جيش الشام: من كان معه مصحف فليرفعه. وهنا انقسم من كان مع الخليفة علي إلى موافقين للفكرة ورافضين لها، ومنهم الخليفة، لكنه وجد نفسه في النهاية مجبراً على القبول، فقد سمع - كما يقول الطبري - من جنده من يقول له "يا علي أجب إلى كتاب الله عز وجل إذا دُعيت إليه، وإلا ندفعك برمتك إلى القوم، أو نفعك كما فعلنا بآبن عفان!" وأما الإباضية فإنهم يرون في رفع المصاحف مؤامرة دبرها عمرو بن العاص ومعاوية

والأشعث بن قيس، وإن الأشعث هو الذي أجبر علياً، وأنه هو الذي اختار أبا موسى الأشعري حَكماً².

ويعد قبول الإمام علي بالتحكيم حصل اضطراب في جنده، وتعالّت الأصوات وتباغض القوم وتساوبا، وأقبل بعضهم يتبرأ من بعض³، ثم عاد علي بجيشه إلى الكوفة ومعاوية إلى الشام. وعند دخولهم الكوفة قام بعض جنده منكرين عليه قبول التحكيم، ورفعوا شعار (إن الحكم إلا لله) مستلهمين من قوله تعالى ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ...﴾ (يوسف 40) وطالبوه بالتوبة، فقال علي: "كلمة حق يراد بها باطل"، ثم تطورت الأحداث، إلى أن انعزلت جماعة من جيشه ونزلوا حروراء وهم نحو من ستة عشر ألفاً⁴

هؤلاء سموها في ما بعد باسم الخوارج؛ لخروجهم على الإمام الشرعي، وذلك بعد محاولات للصالح والالتزام، إلا أنهم استمروا على ضلالهم - على حد وصف ابن كثير⁵ - ثم اختاروا أميراً لهم وتجمعوا في النهروان، فخرج عليهم علي وناقشهم، لكنهم أبوا ذلك، وكفروهم ومن معه، ومن ثم استحلوا دماءهم، فقاتلهم علي وكاد أن يقضي عليهم، ففرروا الانتقام منه، وقتلوه، وقتله عبدالرحمن ابن ملجم، وهو - علي - في صلاة الصبح يصلي بالناس، وذلك سنة 40 هـ

بعد معركة النهروان دب الخلاف بين الخوارج، وتفرقوا إلى جماعات، لكل جماعة أمير يتزعمها، وأوقعوا القتل كثيراً في بني أمية، لكن من غير تحقيق أي أهداف لهم.

من بين تلك الفرق كانت هناك فرقة تسكن البصرة، وقد أثرت السلم في ما بعد، وزعيمها أبو بلال ابن أدية. هذه الفرقة كانت النواة الحقيقية لما عُرف ب الإباضية، كفرقة من فرق المسلمين⁶.

ثم تطور الأمر بعد ذلك، وبعد سنوات عدة أعلن عبدالله بن إباض اعتزال الحرب، بعد أن التقى عبدالله ابن الزبير سنة 65 هـ في مكة⁷.

وأما التأسيس والتنظيم فكان على يد جابر بن زيد- التابعي - وهو محل تقدير عظيم عند أتباع الفرقة⁸.

أما نسبتهم إلى الإباضية فتعود إلى عبد الله بن إباض⁹، وقد عاش في الفترة بين 50 - 100 هـ، والذي برز دوره في اشتراكه مع الوفد الذي توجه إلى مكة لمشاركة عبدالله ابن الزبير في معركته ضد الأمويين. ابن إباض هذا أصبح الناطق باسم الفرقة والمنظر الفكري لها، ولذا انتسبت إليه¹⁰. ومع شهرتهم بهذا الاسم، إلا أنهم لا يرونه الإمام والمؤسس، بل هو جابر بن زيد، فهو الإمام الروحي لهم وهو "الشخص الذي بلور الفكر الإباضي بحيث أصبح متميزاً عن غيره من المذاهب"¹¹، أما لماذا لم ينسبوا إلى جابر بن زيد، فالسبب - كما يقول أحد الإباضيين - "إن الأمويين لا يريدون نسبة هذه الفرقة إلى جابر بن زيد؛ حتى لا يجذبوا إليهم الأنظار، ولا يبدون في هالة جابر المشرفة فتميل إليهم النفوس، فنسبوهم إلى ابن إباض، وهو أقل منزلة من جابر"¹²

هذه الفرقة توزعت على مساحة العالم الإسلامي، فهم موجودون اليوم في عُمان- الدولة الخليفة- ويشكلون الغالبية، ومذهبهم هو المعتمد، وكذلك ينتشرون في مناطق عدة في الغرب الإسلامي، في الجزائر وتونس وليبيا وتزانيا.

العلاقة بين الإباضية والخوارج

¹ - الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل أي القرآن، أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ، ج6/27.

الشيخ سلمان بن داود بن يوسف، الخوارج هم أنصار الإمام علي، دار البعث، الجزائر ص82، ص117²

وانظر: المسعودي، أبو الحسين بن علي، اعتق به كمال مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1425هـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ط4 ج4/2 (404)

4- قرية بظاهر الكوفة على بعد ميلين منها / الحموي ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2/1995م، ج2/ 245⁴

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ت سامي سلامة، دار طيبة، ط1، 1420/2، ج7/ 290⁵.

د. عوض محمد خليفات، نشأة الحركة الإباضية، د.ط/1978 ص64 وما بعدها⁶.

7- انظر البداية 243/8، و الحارثي سالم بن حمد، العقود الفضية في أصول الإباضية، وزارة التراث والثقافة، عُمان، ط1، 1438/2 ص135 وما بعدها⁷.

8- هو جابر بن زيد الأزدي البصري المعروف بأبي الشعثاء - وهي ابنته - ولد في عمان 21هـ تلقى العلم عم عبدالله بن عباس، وقال فيه: لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر لأوسعهم علماً، وثقه ابن معين وأبو زرعة، وروى له البخاري ومسلم 93 هـ وقيل غير ذلك انظر ترجمته: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1/1326، ج2/38، و الزركلي، خير الدين بن محمود، دار العلم للملايين، ط15، 2002م، ج104/2

9- والحجاز سالم بن حمود السبائي ص الحاشية: يقال إباض - بفتح الهمزة، وأباض بكسرهما، والكسر أشهر. انظر: الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية في اليمن، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط1، 1400هـ، ص35.

10 - السبائي سالم بن حمود، إزالة الوغناء عن أتباع أبي الشعثاء، ت سيدة إسماعيل، مطابع سجل العرب، القاهرة 1979، ص65¹⁰

نشأة الحركة الإباضية عوض خليفات ص 80¹¹

12 محمد علي ديبوز، تاريخ المغرب الكبير، دار إحياء الكتب، القاهرة، ط1960، ج2/398

كثر الخلاف في هذه المسألة وهي العلاقة بين الإباضية والخوارج، فكتب التاريخ والفرق عندنا تجعلهم فرقةً من الخوارج، وعليه فالحكم عليهم هو الحكم على الخوارج، وقد سئل الإمام علي عن أهل النهروان- الخوارج:- أمشركون هم؟ فقال: من الشرك فزوا، قيل: أمناقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، فقيل: فما هم؟ قال: إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم ببغهم¹³

ولعل هذا الأثر هو الذي اعتمده العلماء قديماً في حكم الخوارج، فقد نقل ابن حجر في الفتح عن ابن بطلال والخطابي وغيرهما: أن المسلمين أجمعوا على أن الخوارج مع ضلالهم فرقة من فرق المسلمين، وأنهم لا يُكفرون، ما داموا متمسكين بأصل الإسلام¹⁴.

وورد عن ابن تيمية قوله أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم - وفيهم علي - رضي الله عنه لم يكفروا الخوارج، وذهب بعض من العلماء إلى تكفير الخوارج مستدلين بظاهر الحديث الذي رواه البخاري عن سعيد الخدري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " يخرج في هذه الأمة قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلووقهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فينظر الرامي إلى سهمه فيتماري في الفوقية هل علق بها من الدم شيء"¹⁵ قلت: والعجب كيف يتم تكفير الجماعة في هذا العصر من قبل بعض العلماء وطلبة العلم!؟

ونعود إلى أصل المسألة، ونقول: لعل الالتباس جاء من تحديد مفهوم كلمة (الخوارج)، يقول الإمام الأشعري: " والسبب الذي سُموا به خوارج خروجهم على علي"¹⁶، وأما عند الإباضية فالخروج هو: المروق من الدين. وأما الخروج على الإمام فلا يعد خروجاً. والخوارج عند الإباضية هم: الأزارقة، والنجدات، والصفيرية الذين استحلوا دماء المسلمين وأموالهم وكفروهم، وأطلوا آيات الكتاب، فهم خوارج: لأنهم فعلوا ذلك لا لأنهم انفصلوا عن علي¹⁷.

أما الإباضية، لا سيما المتأخرين منهم فإنهم يرفضون نعتهم بالخوارج، ويغضبون لذلك، ويعلنون براءتهم منهم، ويرون في هذه التهمة بُعداً سياسياً ومذهبياً مخالفاً¹⁸، يقول عالمهم الكبير علي يحيى يعمر: " إن توافق رأي الإباضية مع الخوارج في نقطة لا يجعل الإباضية خوارج، ولا الخوارج إباضية"¹⁹.

بقي أن نعلم حقيقة موقفهم من الصحابة رضوان الله عليهم، فهم - الصحابة - عندهم عدول ثقات قبل الفتن، أما بعدها فشأنهم شأن بقية الناس، فمنهم الثقة ومنهم دون ذلك. لكن - والحق يقال- إن الإباضية ليسوا على قلب رجل واحد في مسألة الصحابة، بل اضطرت الأقوال عنهم واختلفت ماضياً وحاضراً. فأحد الباحثين - وبعد الاطلاع الكافي على المصادر كما يقول- يقول: " ترى الإباضية أن كلًّا من أبي بكر وعمر قد سارا طبقاً لكتاب الله الكريم وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم... وأما عثمان فيروونه دون الشياخين في مكانته وسياسته، وبقي المسلمون له مطيعين ومؤازرين حتى أحدث بدءاً أنكرها المسلمون عليه... ويرون الثورة عليه مشروعة وأن قتله كان واجباً... وأما علي فيرون أنه أخطأ فيما عمل وحكم في أمر من أمور الله - سبحانه وتعالى- وخلق نفسه من منصبه الشرعي، لذا وجبت محاربتة، وخاصة بعد رفضه إعلان التوبة"²⁰.

وكتبتنا - أهل السنة- تكاد تتفق في تقييم موقف الإباضية في المسألة، حيث يقول الأشعري: " واختلف الناس في الحكمين، فقالت الخوارج: الحكمان كافران. وكفّر علي حين حكّم، واعتلوا يقول الله عزو جل ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ (المائدة 47)"²¹. غير أن حاضر الفرقة لا تقول ذلك، فالمتأخرون لا يرضون بكفر الصحابة، ولعلهم قاموا بعملية تجديد وتطوير أو تصحيح لهذا الموضوع ليقترّبوا من خط أهل السنة كثيراً، إن لم نقل يلتقيان.

يقول الجيظالي (ت 750) " والمتدع الذي أضل ببدعته الخلق وكان متديناً فليس عليه إلا أن يُظهر توبته، ويدعو إليها كما أظهر بدعته ودعا إليها كالذي جرى لعائشة رضي الله عنها يوم الجمل وقتل معها خلق كثير، فلم يلزمها إلا إظهار التوبة، وكذلك علي بن أبي طالب وخلف بن السمح، لو رجعا عما كانا عليه لم يلزمهما إلا إظهار التوبة، من غير عُرم شيء أتلّفاه؛ لأنهما متدينان، والله أعلم"²².

وعندما يذكر ابن أطفيش علياً - في تفسيره - فإنه يذكره مسبقاً ب: الإمام.

وختاماً لهذا المبحث أقول: إنه من الظلم أن نرى إلى الآن من يجعل الإباضية والخوارج فرقةً واحدةً لا تمايز بينهما، ولا يليق بالبحث العلمي أن يسير على هذا النهج، فيحكم على الإباضية كما حكم على الخوارج.

وأرى - والله أعلم- أن نسبة الإباضية إلى الخوارج تشبه إلى حدٍ كبيرٍ نسبة الزيدية إلى الشيعة، فكلاهما - الإباضية والزيدية - قريبان إلى أهل السنة والجماعة، ويختلفان في بعض القضايا- وستأتي قريباً - وهي لا تبرر حالة الجفاء والعداء معهم.

المبحث الثاني: الأصول عند الإباضية:

13-رواه البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، في السنن الكبرى، مكتبة الباز للنشر عن طبعة الهند، دت، كتاب: قتال أهل البغي 173/8، وابن أبي شيبه، عبدالله بن محمد، مصنف أبي شيبه، ضبط كمال يوسف الجوت، 13 ج 256/1

14- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري بشرح البخاري، مجموعة، دار ريان، المكتبة السلفية، ط3/1407، ج 12/314

15- والحديث لا يقطع بتكفيرهم، فبعد أن وصفهم الحديث بالمروق من الدين قال: ينظر الرامي إلى سهمه لأن (التماري) من الشرك، وإذا وقع الشرك في ذلك لم يقطع عنهم بالخروج من الإسلام، لأن من ثبت له عقد الإسلام بيقين لم يخرج منه إلا بيقين). فتح الباري (6931) 314/12

16- الأشعري، أبي الحسن، علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، دار إحياء التراث، عنب به هلموت ديتر، ط3، دت، ص 5

علي يحيى يعمر، الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة وهبة، ط1، ت، ج 34/17

انظر الشكعة مصطفى، إسلام بلا مذاهب، الدار المصرية اللبنانية، دط، 1987، ص 132

19- (الإباضية في موكب التاريخ 27/1)

د. عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية ص 57- 62

مقالات ص 452²¹

22- الجيظالي، إسماعيل بن موسى، قواعد الإسلام، ت أحمد الشيخ أحمد، مكتبة الضامري، سلطنة عُمان، ط 1436/5 هـ 195/1 م

لا شك أن لكل فرقة أصولاً تتبعها، وتسير على هدي منها، والإباضية كغيرهم من الفرق لهم أصول معينة، وأسس يسيجون من خلالها حدود مذهبهم ومعتقدهم من أن تخرج عن الخط العام الذي رسموا لأنفسهم، ولكي يحافظوا على استقلاليتهم، لذا سنقف قليلاً عند أهم أصولهم وذلك من خلال مصادرهم، وهذا واجب الأمانة العلمية، وليست القراءة في حق المذاهب مثل القراءة عنهم مباشرة، كيف... وقد رأينا أحكاماً قاسية في حق هذه الفرقة، فلم تسلم حين خرجت عن الخط العام للمسلمين سابقاً وانحرفت، ولم تسلم عندما خضعت للتحولات التاريخية ومحاولات تصحيح المسار من قبل أبنائها المتأخرين، حيث اهتموا بالمدارة والمسايرة، مع أنهم بعيدون عن التقية – كما هو معلوم عنهم- إضافةً إلى ما توفر لدينا من مصادرنا وما قالت في حقهم، كي تكون الصورة واضحة غير منقوصة. وأهم هذه الأصول هي:

الأول: التوحيد، فالتوحيد عند الإباضية هو: علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية المكتسبة من أدلتها اليقينية²³. والشرع هو مصدر تلك العقائد لا العقل، حيث يقول السالمي: "وذهب الجمهور منا إلى أن العقل لا حكم له في شيء من الوجوب الشرعي، وما يترتب عليه الثواب والعقاب، فلا وجوب عندنا قبل الشرع في شيء من الأصوليات والفرعيات، لا فرق في ذلك بين التوحيد وغيره، قال تعالى ﴿وما كنا معذبين حتى ننبعث رسولا﴾ (الإسراء 15) وقال تعالى: ﴿أولم تأتيم بيئته ما في الصحف الأولى﴾ (طه 133) ولم يقل (أولم نركب فيهم عقولاً)²⁴.

وهنا نرى أن الإباضية تتفق مع أهل السنة في أصل التوحيد.

الأسماء والصفات عندهم بمعنى واحد، والذات والصفات شيء واحد، والصفات عين الذات، يقول السالمي: "ذهب أصحابنا إلى أن أسماء الله وصفاته الذاتية هي عين ذاته"²⁵. وهنا نراهم يختلفون عن الأشاعرة فصفات الله عندهم قائمة بذاته زائدة عليه، فهو سبحانه عالم بعلم، قادر بقدره، فالصفة ليست ذاته، ولا غيره.²⁶

أما منهج السلف فهو إثبات ما أثبتته الله لنفسه، من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكليف، ويرون أن الصفات زائدة على الذات²⁷.

وتفرع عن ذلك الحديث عن القرآن، هل هو مخلوق أم لا؟ فالإباضية يقولون القرآن مخلوق:

وعمادهم العقل والنقل، فالنقل هو قوله تعالى ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث...﴾ وأم

عقلاً فقالوا: كل شيء إما خالق وإما مخلوق، والقرآن ليس خالقاً إذن هو مخلوق²⁸. رؤية الله: الإباضية ينفون رؤية الله في الدنيا والآخرة، ويشددون النكير على أهل السنة في ذلك. ومستندهم في ذلك العقل والنقل، وأولوا تلك النصوص التي اعتمدها أهل السنة في جواز الرؤية. وسيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن منهج ابن أطفيش.

الثاني: العدل، العدل عندهم هو: وضع الأشياء في مواضعها، وإعطاء كل ذي حق حقه، وتنزيل كل شخص منزلته²⁹. والله سبحانه وتعالى – عند الإباضية- منزّه عن الظلم – وهو عند الجميع كذلك – وعليه: فوعده المطيعين بالجنة عدل، وتوعده للعاصيين عدل، والله منفذ حكمه في الحالتين كما أخبر. وأما أهل السنة فلا يوجبون شيئاً على الله سبحانه، يقول الجويني "الثواب عند أهل الحق – السنة- ليس بحق محتوم، ولا جزاء مجزوم، وإنما فضل من الله تعالى، والعقاب لا يجب أيضاً..."³⁰.

الثالث: الوعد والوعيد: وهو متفرع عن الأصل السابق – العدل- ومفاده: أن العدالة الإلهية تقتضي إثابة الاخيار، ومعاقبة الأشرار. فما أخبر الله به يجب أن يتحقق، من إثابة المطيع ومعاقبة العاصي، لقوله تعالى: (ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد) (ق 29)³¹.

الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ومع أن هذا الأمر يحظى بأهمية كبيرة عند جميع الفرق الإسلامية، إلا أنه أصل أصيل وركن ركين عند الإباضية، وهو واجب عندهم، وتفرع عن هذا الواجب موضوع الإمامة، ففي واجبة، يقول ابن أطفيش "ونصب الإمام العدل واجب، والدليل توقف الواجب عليه من الأمر والنهي، وإقامة الحدود، والقيام بالعدل، وردع المعتدي"³².

الخامس: لا منزلة بين المنزلتين: وهذا الأصل يعد أهم مسألة تميز الإباضية عن أهل السنة والجماعة، فمرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة لا كفر ملة، لكنه خالد في النار، ولو بدرجة أقل من كافر الملة³³. وسيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن منهج الطيفيش

السيابي سالم بن حمود شامس، طلقا المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ط/1400، ص 105 (23)
السالمي، نور الدين أبي محمد عبدالله، مشارق أنوار العقول، ت عبد الرحمن عميره، دار الجيل ط/1409، ج1/340 (24)
المصدر السابق ج1/342 (25)

الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن أحمد، المواقف في علم الكلام، عالم الكتب، د.ط، د.ت 279 (26)

ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ت: مجموعة من العلماء ط/1 المكتبة الإسلامية ص 130 (27)

الخليلي، بدر الدين أحمد²⁸ بن حمد، الحق الدامغ الخليلي، د.ن، ط/1409 هـ، ص 163

²⁹ السمانلي، محمد بن عبد الله، شرح متن الديانات. نقلا عن عدون جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية، مكتب الضامري، سلطنة عُمان، ص 55.

الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله ب، إمام الحرمين، الإرشاد إلى قواعد الأدلة في أصول الاعتقاد، ت محمد يوسف موسى وعلي عبد الحميد مطبعة السعادة، مصر، ص 84 (30)

انظر الرستاق، خميس بن سعد، منهج الطالبين وبلغ الراغبين، ت سالم الحارثي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان، د.ط، د.ت، 1/420 (31)

ابن أطفيش، شرح النيل وشفاء العليل 14، المطبعة السلفية، القاهرة، 1343، ص 271 (32)

33- انظر: ابن أطفيش، الذنب الخالص المنوه بالعلم القائل، ت أبو إسحاق، د.ن، ط/1980 م، ص 5، ومشارك الأنوار ص 400 (33)

والولاية هي القرية، والمواخاة، والاستغفار للمؤمنين.

وهي واجبة عليهم في حق من اتصف بالإيمان، ومن لم يوال المسلمين فقد أشرك. ويقابلها البراءة، وتعني: البغض، والشتم للكافر؛ لكفره، وهي أيضا واجبة، ومضمونها البراءة من المشركين بشكلٍ عامٍّ. فعلى كل إباحي أن يمثل هذا الأصل، فيوالي المؤمنين ويعادي المشركين.³⁴

ونكتفي بهذا القدر عن أهم الأصول التي اعتمدها الإباضية واحتكموا إليها، وداروا في فلکها، ودافعوا عنها. وقد ظهر هذا جلياً في جميع مصنفاتهم وكتبتهم، إضافةً إلى أمور أخرى، هي دون هذه الأصول من حيث التعقيد والاهتمام.

ولنتقل الآن إلى ابن أطفيش ومنهجه في تفسيره من خلال معالجه للآيات التي تتحدث عن العقيدة، ولنرى هل ظهر أثر تلكم الأصول في تفسيره؟ وهل فسر من خلالها وعلى هدي منها؟ وبعبارة أخرى: هل ابن أطفيش ابن بيئته - الإباضية -، أم أنه اجتهد في المذهب وخالف أصوله ومعتقداته؟

هذا ما سنعرفه في الصفحات التالية إن شاء الله.

الفصل الثاني:

تفسير تيسير التفسير ومنهج صاحبه من خلال مبحثين اثنين

الأول: ترجمة ابن أطفيش، وتعريف موجز بالتفسير

المبحث الثاني: منهج ابن أطفيش العقدي (الجانِب التطبيقِي)

وذلك من خلال تفسيره للآيات التي تتحدث عن العقائد

المبحث الأول: ترجمة ابن أطفيش

هو محمد بن بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبدالرحمن بن عيسى بن إسماعيل أطفيش³⁵.

ويلقب بـ قطب الأئمة، والإمام، والعلامة.

ولد سنة 1236 هـ في بلدة (يسجن) من قرى وادي ميزاب³⁶. توفي والده وهو في الرابعة من عمره، فاهتمت به والدته وقامت على نشأته، فحفظ القرآن الكريم وهو ابن ثماني سنين.³⁷

تعلم على علماء كثيرين ومن أهمهم شقيقه الأكبر إبراهيم، حيث أخذ عنه العلوم الشرعية والعربية والكلام والمنطق... وكذلك تلقى العلم عن الشيخ ضياء الدين ابن العالم الإباضي الشهير عبدالعزيز الثميني³⁸.

لم يهاجر ابن أطفيش إلى أي مكان بهدف طلب العلم بل اكتفى بما عنده من تراث كبير.

ولنبهته وذكائه العلمي تصدر للتدريس " فلما تجاوز السادسة عشر من عمره جلس للتدريس

مع أخيه وشيخه في المدرسة، وما إن جاوز العشرين حتى أضحى أكبر عالم في وادي ميزاب.³⁹

وقد عاش ابن أطفيش في ظل الاحتلال الفرنسي للجزائر، وكان للشيخ مواقف مشهودة ضد الفرنسيين، زرعهما في أفئدة تلاميذه وأبناء مجتمعه في وادي ميزاب⁴⁰. قال عنه رضا كحالة: " مفسر، فقيه محدث، اديب، شاعر، بياني، عروضي، منطقي، مشارك في غير ذلك، اباضي المذهب، مجتهد، سياسي."⁴¹

توفي - رحمه الله - سنة 1332 هـ، بعد أن ترك ثروة علمية كبيرة تراوحت بين المائتين والثلاثمائة كتاب ومصنف، أغنت المكتبة الإباضية وأضحت مرجعا مهما لأبناء الفرقة وكل من يريد التعرف عليها وذلك في مختلف العلوم والفنون، في التوحيد، والتفسير، والتجويد، والحديث، والأصول، والفقه، والنحو، والسيرة، والتاريخ، والفلسفة، والفلك، والطب.

والذي يهمننا ههنا هو عمله في التفسير.

لابن أطفيش ثلاثة تفاسير:

انظر الذهب الخالص ص 32، 45، ومشارك الأنوار ص 338³⁴

(أطفيش كلمة أمازيغية، وهي مركبة من ثلاثة مقاطع، فـ (أطف) بمعنى: أمسك، و (أي) بمعنى: أقبل، و (أش) بمعنى: كُنْ). انظر الاعلام 156/8³⁵

انظر كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي بيروت، 133/12 تبعد عن الجزائر العاصمة 600 كم تقريبا³⁶

نهضة الجزائر الحديثة وتورتها المباركة محمد علي ديور 290/1، نقلا عن الفكر السياسي عند الإباضية عدون جهلان ص 103،³⁷

(فقيه إباضي من وادي ميزاب له كتاب النبل في عمدة المذهب الإباضي في العبادات. ت 1223 هـ. انظر عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر حتى منتصف القرن العشرين، ص 94.³⁸

مقدمة جامع الشمل بقلم عبدالقادر عطار، وجامع الشمل لابن أطفيش، بيروت، دار الجيل ج 1/17³⁹

⁴⁰ انظر الجابري، محمد صالح، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين الجابري، تونس، الدار العربية للكتاب، ص 272 ومقدمة الذهب الخالص، ص: ح

41

معجم المؤلفين 133/12

الأول: هَمِيان الزاد إلى دار المعاد، وهو تفسير كامل ومطبوع منذ سنة 1350 هـ، ويقع في أربعة عشر مجلداً. وقد ألفه في شبابه.

الثاني: تفسير داعي العمل ليوم الأمل، ويبتدأ من سورة الرحمن إلى سورة الناس، وهو مازال مخطوطاً بخط المؤلف ولم يُطبع.

الثالث: تيسير التفسير، وهو آخرها تأليفاً، وقد طبع عدة مرات، وهو يتراوح ما بين الخمسة عشر مجلداً إلى ستة عشر.

تعريف عام بالتفسير:

بدأ المفسر تفسيره بمقدمة مقتضبة، على خلاف المفسرين الذين كانوا يأخذون نفساً طويلاً في مقدماتهم، حيث صرح لنا بانتسابه إلى المدرسة الإباضية قائلاً " هذا تفسير القرآن العظيم تأليف... السيد الحاج محمد أطفيش الإباضي الوهبي مذهباً...". وكذلك بين - رحمه الله - سبب شروعه في هذا التفسير قائلاً " فإنه لما تقاصرت الهمم عن أن تهيم بهميان الزاد إلى دار المعاد، الذي ألفتُه في صغر السن، وتكاسلوا عن تفسيري داعي العمل ليوم الأمل، أنشطت همي إلى تفسيرٍ يُغيب ولا يُمل، فإن شاء الله قبله بفضلته وأتمه قبل الاجل"⁴².

ولعل ابن أطفيش أدرك أن هميان الزاد وداعي العمل لم يحظيا بالقبول عند الناس، ومنهم أبناء الإباضية، لذا نراه يعد تلامذته بتفسيرٍ آخر سيكون كافياً ومغنياً عن أي تفسيرٍ آخر، وسبق أن قلت إنه فسّر ذبك التفسيرين في فترة شبابه، حيث التجربة الوليدة، والزاد القليل، وحب الظهور، ووله بالعجائب والغرائب...لذا نراه يخاطب تلامذته مبشراً بإهامه بقدم تفسيرٍ جديدٍ... "ولكم والحمد لله الرحمن الرحيم من تفسير المذهب ما يغنيكم إن شاء الله عن تفسير غيره، فإن ذكرتُ مذهبهم فيما لأردّه، وإما لأنه حقٌّ، وقد اعتقدناه قبل أن نراه، ولست مقلداً لأحدٍ ولا سيما التيسير الذي قرب إن شاء الله الرحمن الرحيم كماله، والله ما ذكرته إلا لترغبوا فيه لأنه غير طويل، بل متوسط مع جمعه ما ليس في المطولات والحمد لله"⁴³.

مصادره في التفسير:

لأن ابن أطفيش يُعدّ من متأخري المفسرين، لذا كثرت عنده المصادر التي كان يعود إليها ويستقي منها ما يريد، ولا غرو في ذلك؛ فالعلم ملك للجميع، يؤخذ منه ما يؤخذ ويرد منه ما يرد، إذا كان الأخذ له حضوره، ويفقه معنى الإفادة، وابن أطفيش - رحمه الله - كان فارس الميدان، فهو الذي تفنن في كيفية الأخذ، والإفادة ممن سبقه، فهو يأخذ منهم وأحياناً يرد عليهم، وهذا دليل على تمتعه بالقدر الكافي من الحرية العلمية، حيث لم يجد نفسه أسير مرجع معين؛ فيقدر تنوع الأضواء يأتي الشهد طيباً حلواً مذاقه.

لقد تنوعت المصادر التي عاد إليها ابن أطفيش - كما رأيتها - وكثرت بكثرة القضايا التي عالجه من خلال تفسيره للآي القرآني، من عقيدةٍ وفقهٍ وأصولٍ ونحوٍ وبلاغةٍ وسيرة...

فهو يأخذ في التفسير عن كبار المفسرين، من الصحابة والتابعين، وأصحاب المصنفات التفسيرية وأولهم الطبري، ولعل آخرهم الألوسي، مروراً بالزمخشري، والرازي، والبيضاوي، وأبي حيان الذي أعجب به وأشاد بفضلته في غير ما موضعٍ من تفسيره. وهناك مصادر أخرى أخذ عنها بطريقةٍ غير مباشرة، لأن المفسرين الذين سبق ذكرهم قد أودعوا تفاسيرهم.

وفي الحديث كان مسند الربيع بن حبيب هو العماد في تفسيره، وهو المعتمد أولاً عند الإباضية، ثم يأتي الموطأ، والبخاري ومسلم وبقية السنن والمسانيد.

وفي اللغة: أخذ عن سيبويه وعن أصحاب المعاني والألمالي وغيرها.

وفي الفقه: كان شرح النبل وشفاء العليل أهم مرجع، وهو له - ابن أطفيش - والنبل كتاب فقهي إباضي ألفه الشيخ عبدالعزيز الثميني، وبعد المرجع الأهم عند الإباضية، إلى جانب: المبسوط للسرخسي (في الفقه الحنفي)، وحاشية الجمل على شرح المنهج (في الفقه الشافعي) والمنهج كتاب في الفقه الشافعي للشيخ زكريا بن محم الشافعي (ت 926هـ).

وأما مصادره في السيرة والتاريخ: فقد أخذ عن ابن إسحاق في مغازيه، وابن سعد في طبقاته، والطبري في تاريخه، وكذلك أفاد من ابن خلدون في مقدمته.

هذه هي مصادر ابن أطفيش في تفسيره، ولا شك أنه عاد إلى غيرها، لكنها - المذكورة - كانت أهمها، والملفت ههنا أنه لم يكن ليصرح بأسمائهم إلا نادراً، بل يغفلها! والحق أنه لم يكن بدعاً في صنيعة؛ فغالبا المفسرين قد فعلوا هذا، ولو ذكر لنا أسماءهم لكان أنسب له وأليق به.

طريقته العامة في التفسير:

أود القول بداية: إننا لو لم نقرأ اسم المؤلف، وكذلك المقدمة - ونحن نقرأ تيسير التفسير - لظننا بأننا نقرأ تفسيراً لأهل السنة، فهو لا يختلف عن تفاسيرنا في شيء من حيث الشكل وطريقة العرض، وكذلك المضمون، وليبيان ذلك أقول:

إنه رحمه الله يجزئ السورة الواحدة إلى مقاطع يكون الرابط بينها طبيعة الموضوع ووحده، سواء كان الموضوع عقيدةً أم فقهاً أم مواضع... ويضع لكل مقطع عنواناً يناسبه.

ثم يشرع في تفسير الكلمات والجمل، وههنا لا يسلك - رحمه الله - طريقةً واحدةً مطردة، بل تختلف من موضعٍ لآخر، وشأنه في هذا شأن جمهور المفسرين.

⁴² ابن أطفيش، تيسير التفسير، ت إبراهيم محمد طلاي، ط 1425/1، ج 1/7

ابن أطفيش، كشف الكرب، مسقط: وزارة التراث والثقافة، ط 1405/1 هـ، ج 1/95

فغالباً يبدأ بسبب النزول، ثم اللغة، ثم إعطاء الآية أو الجملة معنى إجمالياً، ثم ما يتعلق ببقية الجوانب من فقهية أو بلاغية.

وأحياناً يبدأ بتقديم المقطع بمعنى إجمالٍ ثم الانتقال إلى اللغة والنحو والبلاغة...

وتارةً يبدأ بمعالجة الألفاظ من حيث اللغة، ثم بقية الجوانب المتعلقة بالآية.

وأخرى يبدأ بذكر المناسبة بين الآية التي يفسرها والتي قبلها ليجعلنا نعيش الوحدة الموضوعية بين آيات القرآن الكريم.

هذا من حيث الشكل، وأما من حيث المضمون، فأقول:

إن ابن أطفيش - رحمه الله - في تفسيره قد زاحج بين المنهجين العلميين المعروفين، أقصد المأثور والرأي، فقد أفاد من جميع مصادر دينك المنهجين والتي تصب جميعها في مجرى معاني الآي القرآني، وللتوضيح أكثر أقول:

إنه رحمه الله يفسر القرآن بالقرآن، وكأننا ههنا نقرأ لابن كثير.

ويفسر القرآن بالسنة، فنجد في تفسيره طائفة كبيرة جدا من أقوال المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومصادره هي مصادر البيضاوي وابن كثير والألوسي، غير أن مسند الربيع بن حبيب يحتل مركز الصدارة. وهو لا يكتفي بإيراد الحديث، بل يحكم عليه غالباً، من صحة وضعف ذلك من خلال المنظار الإباضي. وأحياناً يورده من غير تعقيب.

ويفسر القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، والذين لهم ذكر عند الطبري وغيره، ولعل اسم جابر بن زيد الأكثر ذكراً، ولا غرابة؛ فهو المؤسس الروحي والعلمي للفرقة.

وللقراءات عنده حظوة، فهو يسخرها في سبيل تفسير الآية، سواء المتواترة أو الشاذة، أو التي تسمى بالحروف، كحرف ابن مسعود.

وأما مصادره من اللغة فهي الأكثر وروداً عنده، ومن هنا فإن تفسير (تيسير التفسير) يُدرج ضمن ما يسمى بالتفسير بالرأي؛ فمصادره من الرأي والاجتهاد أكثر في تفسيره، وسوف يزول العجب إن علمنا أن الكشاف للزمخشري وأنوار التنزيل للبيضاوي كانا أهم مصدرين له، وقد صرح بذلك في مقدمة تفسيره الأول (هميان الزاد).

فراه يستشهد برجال النحو، كسيبويه وغيره، ويذكر الخلاف بين البصريين والكوفيين، ولابن هشام مكانة عنده.

ويتحدث في البلاغة القرآنية ويجعل القارئ يستمتع بتلك الفنون البلاغية الجميلة من خلال علومها الثلاثة، لا سيما البيان والمعاني.

ويعالج الكلمة صرفياً، فتراه يغوص في أعماقها ليقف على أصلها وما اعترأها من إعلالٍ أو إبدال..

والقارئ للتفسير سوف يقف على طائفة كبيرة من الأشعار، يذكرها وهو يحتج بها.

وأما من الناحية الفقهية، فإنه - عند آيات الأحكام - يذكر أقوال المذاهب الأخرى بعد ذكر ما قالته الإباضية، بقوله: عندنا.. وفي مذهبننا... وغالباً يرجح ما ذهب إليه الإباضية. ولا يعني أنه يذكر في كل موضع أقوال جميع المذاهب، فليس الكتاب خاصاً في الفقه المقارن، ولا ننس أنه لا يذكر أدلة المذاهب إلا نادراً جداً، ونجد عنده ذكراً للمالكية والحنفية والشافعية والحنابلة، وكذلك الإمامية والزيدية.. يقول ابن أطفيش عن أبي حنيفة: "هو - أبا حنيفة - كثير الوفاق بينه وبيننا معاشر الإباضية الوهبية في المسائل" (تيسير 1/157).

ويعرج إلى الناحية الأصولية فيذكر القواعد من غير إطالةٍ أو استطراد.

وهو يكثر من الروايات الإسرائيلية، ونادراً ما يرفضها لأنها إسرائيلية. (عند خر موسى صعقاً 5/176).

وهو من القائلين بالنسخ في القرآن الكريم⁴⁴.

وأخيراً يختتم السورة بقوله: ولا حول ولا قوة إلا بالله

المبحث الثاني: منهج ابن أطفيش العقدي (الجانب التطبيقي):

والمقصود هنا أن نتعرف عن قرب على منهج ابن أطفيش وهو يفسر آيات العقيدة، لنرى كيف عالجه، وهل كان ينتصر لمذهبه دائماً، إن كان الموضوع موضع خلاف، أم يجتهد ويجد نفسه في جِلِّ عن الانتماء للمذهب والانتصار له؟ والمواضع التي سنقف عندها هي ما تتعلق: بصفات الله، واستوائه، وعلوه، ورؤيته، وكلامه، وما يتعلق بالكبائر، وبعض الغيبيات المستقبلية كالصراط، والميزان وعقائد أخرى.

صفات الله سبحانه:

ولولا خشية الإطالة لاستشهدت عند كل جملة بما يناسب من الأمثلة⁴⁴.

المقصود بذلك تلك الآيات التي فيها صفات الله - عز وجل - الخيرية، كالاستواء، والنزول، والمعجى، والتي ورد فيها ذكر الوجه واليدين، والعين...وهي تعتبر من متشابه القرآن، التي جاء ذكرها في سورة آل عمران ﴿...منه آياتٌ محكماتٌ هنَّ أمُّ الكتابِ وأخر متشابهاتٌ﴾، وقبل أن نتبين منهج ابن أطفيش في معالجته لهذه القضية، ينبغي التوضيح أن المسلمين اختلفوا في كيفية تفسيرها، وانقسموا إلى أربع فرق:

الأولى: المجسّمة، أو المشبهة، ويقولون بإمرار هذه الصفات على ظواهرها، وبذا ينسبون لله سبحانه وجهاً كوجه الخلق، ويدأ كأيديهم، وعيناً كأعينهم، وهذا الفريق جانب الصواب من كل جهة، كيف... والله سبحانه يقول: ﴿ليس كمثله شيء﴾ (الشورى 11)

الثانية: المعطّلة، ويلقبون بالجهمية، وهؤلاء ينفون عن الله عز وجل الصفات كليةً، فالله - عندهم - لا يسمع، ولا يبصر، ولا يتكلم...

الثالث والرابع: هم أهل السنة والجماعة، وقد انقسموا فريقين، ورسوموا منهجين واضحين، يمثلهما السلف والخلف.

وأما السلف: فيؤمنون بهذه الصفات ويثبتونها لله عز وجل، كما وردت، دون التعرض لكيفيتها، أو تفسيراً يخرجها من منطوق اللفظ، فله سبحانه كل ما أثبتته لنفسه، من غير تعطيل ولا تشبيه، ولا تأويل، مع تزيمه سبحانه عن مشابهة المخلوقات، وكل ذلك بمعانٍ لا ندرك كنهها، لذا فالله سبحانه - عندهم - يسمع ويرى ويضحك وينزل... وهم يستندون في ذلك إلى عدم تأويل تلك الآيات، ونفي المجاز فيها، وما أثار عن مالك بن أنس، وقد سئل عن الاستواء، فقال "الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب"، وممن ذهب إلى هذا أحمد بن حنبل ومحمد بن الحسن الشيباني وغيرهم...

وأما الخلف - من أهل السنة - فإنهم يقولون إن الله سبحانه منزّه عن مشابهة المخلوقين، في هذه الصفات، وكذلك يتفقون مع السلف في أن المراد بهذه الصفات - في حق الله - غيرُ ظواهرها التي وُضعت لها هذه الألفاظ في حق المخلوقات. لكنهم تميزوا عن السلف بأن دفعهم القول بتزيمه الله - عز وجل - عن المخلوقين إلى القول بأن في هذه الألفاظ مجازاتٍ لا مانع من تأويلها، تأويلاً يتفق وعظمة الله سبحانه، وتزيمه عن المخلوقين، فأولوا الوجه بالذات، واليد بالقدرة، والاستواء بالاستيلاء... وممن مثل هذا النهج أبو الفرج ابن الجوزي من الحنابلة، وجمهور المتأخرين من الأشاعرة، كالغزالي والرازي والبيضاوي...والحق أن مذهب السلف أسلم، لكننا لا نجرؤ على إخراج المتأولين من دائرة أهل السنة والجماعة، كيف...وهم السواد الأعظم من علماء العالم الإسلامي. ولا ننس أن الإمام الأشعري يقول عن هذه الصفات: "لسنا نقول في ذلك إلا ما قاله الله - عز وجل -، أو جاءت به الرواية من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنقول: وجه بلا كيف، ويدان، وعينان بلا كيف"

وبعد هذا البيان لمسألة الصفات نعود إلى الإباضية فأقول:

إن الإباضية يتفقون مع أهل السنة في أن أسماء الله وصفاته توقيفية، فلا يجوز أن نثبت لله صفة أو اسماً إلا ما أثبتته الشارع⁴⁵. وأما ما معنى صفات الله وأسمائه، فيوضحه السالمي بقوله "...ذهب أصحابنا - رحمهم الله - إلى أن أسماء الله وصفاته الذاتية هي عين ذاته، أي ليس هناك أمرٌ ثانٍ غير ذاته العلية"⁴⁶. إذن صفات الله مثل العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والحياة والكلام معانٍ اعتبارية وهي ليست زائدة على ذاته سبحانه، ولا حاجة إلى دعوة معانٍ زائدة عليها - ذاته - قائمة به، وهي مغايرة للمعاني الحقيقية القائمة بخلقه الموصوفين بها⁴⁷.

وأما ابن أطفيش فنراه يؤكد هذا المعنى، وذلك عند قوله تعالى ﴿هو الأول والآخر﴾ (الحديد 3) قال: "الأول) وحده لم يسبقه شيء ولم يكن معه شيء، بلا أول، فأخطأ من قال: صفاته

غيره قديمة معه..."⁴⁸. فهو ههنا ينتصر لمذهبه ويخطئ الآخرين الذين لا يقولون بقولهم.

الاستواء: قال تعالى عن ذاته ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (طه 5) يفسر ابن أطفيش الآية فيقول: "...والعرش في اللغة سرير الملك، وفي الشرع: سرير ذو قوائم تحمله الملائكة عليهم السلام فوق السماوات كالقبة، كما خلق الله الغار في الجبل، وليس الله حالاً فيه ولا فوقه" ثم مضى في ذكر بعض الروايات إلى أن يقول "...واستواء الله على هذا الجسم العظيم ملكه إياه، تعالى الله عن الحلول، ونحمل آيات القرآن على ظاهرها إلا ما يوجب التشبيه فنؤوله...ومذهبنا ومذهب أبي الحسن الأشعري تأويل المتشابه"⁴⁹

وتأويل الاستواء بالاستيلاء أو التمام أو القصد هو مذهب الأشاعرة والماتريدية⁵⁰. يقول النسفي: "فالاستواء يكون بمعنى الجلوس وبمعنى القدرة والاستيلاء، ولا يجوز الأول على الله تعالى بدليل المحكم وهو قوله ﴿ليس كمثله شيء﴾"⁵¹.

الفوقية: وذلك عند قوله تعالى ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ (الانعام 18)، قال: "...والفوقية علو شأنٍ لا حسن، تعالى الله عن الجهة، والجملة استعارة تمثيلية لعلو شأنه تعالى، والاستعارة

⁴⁵ السالمي، أبو محمد عبدالله، بهجة أنوار العقول ط الموسوعة بمصر ج 1/ 85)

مشارك انوار العقول، ص 177⁴⁶

انظر: الرواحي ناصر بن سالم، نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر، مسقط سلطنة عمان، ط 1/ 1400 ج 1/ 3147
تيسير التفسير 15/ 318⁴⁸

تيسير التفسير 9/ 119، 120⁴⁹

انظر أبو منصور الماتريدي، محمد بن محمد، تأويلات أهل السنة، ت مجدي ياسلوم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1/ 1426، ج 7/ 268⁵⁰
النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ت يوسف بديوي، بيروت، دار الكلم، ط 1/ 1419، ج 1/ 237⁵¹

وهذا الذي ذهب إليه هو ما قصده البيضاوي بقوله "تصويرٌ لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة"⁵³ بل سبقهم إلى نحو هذا شيخ المفسرين الطبري حيث يقول "...وبعني بقوله (القاهر): المذل المستعبد خلقه، العالي عليهم. وإنما قال: (فوق عباده)؛ لأنه وصف نفسه - تعالى ذكره- بقهره إياهم. ومن صفة كل قاهر شيئاً أن يكون مستعلياً عليه، فمعنى الكلام إذن: والله الغالب عباده، المذل لهم، العالي عليهم بتذليله لهم، وخلقهم إياهم، فهو فوقهم بقهره إياهم، وهم دونه."⁵⁴

العين: وذلك عند قوله تعالى ﴿وَلتصنع على عيني﴾ (طه 39) يقول ابن أطفيش: "ومعنى (تصنع) تُكرم أو تُفعل بك الصنعية، وهي الإحسان، وهو أن يربى بالحنو والشفقة والإرضاع الحسن، (و على عيني) حال من ضمير (تصنع) ومعناه بمرأى مئى، وذلك على الاستعارة التمثيلية للحفظ والصون، فإن المصون يراعى ويراقب، كما يراقب الشيء بالعين ويحضر عنده إذا اعتنى به..."⁵⁵

ويرجح الطبري - بعد ذكر عدة أقوال - معنى الجملة بقوله " بمرأى مني ومحبة وإرادة"⁵⁶ ، وهو ما ذهب إليه البغوي بقوله " أي لتربى بمرأى ومنظرٍ مني"⁵⁷.

اليد: فعند قوله تعالى ﴿بل يدها مبسوطتان﴾ (المائدة 64) قال ابن أطفيش "...والمعنى: إنه جواد باسط للنعمة، وهكذا المراد، لا إثبات الجارحتين، ولكن ثنى اليد؛ إعلماً بأنه في غاية الجود، وكناية، والكناية يراد لازماً وحده تارةً - وهو هنا كثرة العطاء لا معناه الحقيقي، وهو هنا: الجارحتان - ولا زماً ومعناها معاً تارةً. أو اليدان: النعمتان، نعمة الدنيا، ونعمة الآخرة، أو نعمة إعطاء الخير ونعمة صرف الضر، أو نعمة الدنيا والدين، أو نعمة الظاهر ونعمة الباطن، أو ما يعطي إكراماً وما يعطي إهانةً واستدراجاً. وقيل: التثنية للثواب والعقاب، وقيل: للتكثير ك(كرتين) و(لبيك) و(ومرة بعد أخرى). وزعم جمهور الأشاعرة أن اليد في حق الله واليدين والأيدي صفة ذات، تؤمن بها بلا تكييف، وهو خطأ. وجمهور المتكلمين على ما نحن عليه من تفسير ذلك بالنعمة والقدرة ونحو ذلك..."⁵⁸

وهكذا نراه ينتصر لمذهبه في كل مرة، ويخطئ المخالفين له.

وأما الطبري فإنه قد توسع في المقصود باليد ههنا، حيث بدأ بتفسير الآية بقوله: " يقول تعالى ذكره: "وقالت اليهود " من بني إسرائيل " يد الله مغلولة" يعنون: أن خير الله ممسك وعطاؤه محبوب عن الاتساع عليهم..."⁵⁹ وقد دعم قوله هذا باللغة والشعر والروايات في أن اليد ههنا كناية عن البخل، ثم ذكر قول من قال: إن يد الله صفة من صفاته، هي يد، غير أنها ليست بجارحة كجوارح بني آدم، وذكر من قال بذلك، لكنه ومن خلال منهجه نعلم أنه يرجح تأويل اليد بالنعمة. وهذا دليل على أن أهل السنة قد انقسموا ما بين مؤولين ومثبتين.

وهذا البغوي - بعد تفسير الآية بالسعة والبسط في الرزق - يقول: " ويد الله صفة من صفات ذاته كالسمع، والبصر، والوجه، وقال جل ذكره ﴿لما خلقت بيدي﴾ (ص 75) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (كلتا يديه يمين) والله أعلم بصفاته، فعلى العباد فيها الإيمان والتسليم. وقال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات: أمروها كما جاءت بلا كيف..."⁶⁰

إذن ابن أطفيش كان مؤولاً لآيات الصفات دائماً، وهو هنا ينتصر لمذهبه ويسلك الطريق ذاته. وقد تفرع عن موضوع الصفات موضوع آخر وهو:

كلام الله (القرآن) هل هو مخلوق أو غير مخلوق؟

فعند قوله تعالى ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وانا أول المؤمنين﴾ قال ابن أطفيش: "...ولا تقل: سمع كلامه القديم وهو صفة أزلية بلا صوت، لأن القديم لا ينتقل، ونحن لا نثبت الكلام القديم النفسي بل كلامه تعالى خَلقُ الكلام، أو نفي الخرس، أو إبحاؤه"⁶¹.

وعند قوله تعالى ﴿ما ننسخ من آيةٍ أو ننسها نأت بخيرٍ منها أو مثلها...﴾

قال: "...والنسخ دليلٌ على أن القرآن حادث مخلوق، ولا نثبت الكلام النفسي، والتعبير من عوارض الكلام النفسي، وهي الأفعال في الأمر، والتبني...وفي إثبات الكلام النفسي إثبات كون الله ظرفاً متحيزاً، وإن رجع ذلك إلى العلم لزم أن كل ما عمله قديم، والقرآن هو هذه الألفاظ لا غيرها"⁶²

وههنا نراه ينفي الكلام النفسي الذي يقول به الأشاعرة، يقول الجويني: " وذهب أهل الحق - السنة - إلى إثبات الكلام القائم بالنفس؛ وهو الفكر الذي يدور في الخلد، وتدلل عليه العبارات تارةً، وما يصطلح عليه من الإشارات"⁶³.

⁵² تيسير التفسير ج4/233

⁵³ ، البيضاوي، ناصرالدين، عبداللله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ت محمد عبدالرحمن المرعشي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1/1418، ج2/157.

⁵⁴ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل أي القرآن، ت أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1/1420، ج11/288

تيسير التفسير ج9/150

جامع البيان ج36/304

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ت عبدالرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1/1420، ج3/261.

تيسير التفسير ج85/4

جامع البيان ج10/450 وما بعدها. ولم يستوجب عندهم هذا الخلاف إخراجاً من الدين!

معالم التنزيل ج2/67

تيسير التفسير ج3/173

تيسير التفسير ج1/216

الإرشاد ص105

رؤية الله: وقد ورد موضوع الرؤية في غير ما موضع من القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى ﴿...ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وانا أول المؤمنين﴾

قال "...ويقال: لما استحل ما سمع من الكلام وهاج به الشوق إلى طلب الرؤية، مع علمه بأنها لا تكون في الدنيا ولا في الآخرة، لأن ما نفيه مدح لا يختص انتفاؤه بزمان، ولأن المرئي جسم في جهة مركب متلون، والله منزّه عن ذلك، فإذا ادّعي أن يرى بلا كيف فذلك تناقض، ونفس الإدراك ممنوع...ولا يخفى أن قدمه تعالى ينافي مباشرة الحادث، وإلا كان حادثاً، أو الحادث قديماً، وكلا الأمرين باطل، ومعلوم أن القديم لا تحل به صفة الحادث، والمخالف للحادث لا تدركه الحوادث"⁶⁴. وهكذا يمضي ابن أطفيش في الانتصار لمذهبه القائل باستحالة رؤيته سبحانه في الدنيا والآخرة، وانظر إلى كلامه "...مع علمه بأنها لا تكون في الدنيا ولا الآخرة" ونحن نسأل كيف علم ابن أطفيش أن موسى كان يعلم أنه لن يرى في الدنيا والآخرة؟ وعند قوله تعالى (وأنا أول المؤمنين) قال "من بني إسرائيل بما أوحيت بانك لا ترى، وأن صفات الخلق لا تليق بك، ومنها رؤيتك في الدنيا والآخرة"⁶⁵.

وعند قوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ يقول: "قدم بطريق الاهتمام والحصر وللفاصلة، وهذا الحصر يفيد أنه ليس المعنى: تنظر أبصارهم إلى ذاته - تعالى - لأن مدعي الرؤية لا يقول: ينظر إلى ذاته فقط دائماً، وإنما قيل: التقديم ليس للحصر. بقي أن النظر إلى الذات ولو أقل من لحظة موجب للتحيّز - تعالى الله عنه -، و(ناظرة) خبر ثانٍ، ومعناها: منتظرة. ومن تعدي النظر إلى الانتظار -إلى قولهم: أنظر إلى الله، ثم إليك؛ أي أنظر فضل الله ثم فضلك. وقول الشاعر:

وجوه ناظرات يوم بدرٍ إلى الرحمن يأتي بالفلاح

وقوله تعالى ﴿فنظرة إلى ميسرة﴾ (البقرة 280). قال الإمام علي: تنتظر متى يأذن لهم ربهم في دخول الجنة أو بمعنى النعمة، مفعول مقدم. أو يقدر مضاف إلى ملك ربه، أو ثواب ربه، أو رحمة ربه. والنظر بالعين أو الأصل إلى إنعام ربه، والنظر بمعنى الانتظار. ولا يرجون الرحمة إلا من الله - تعالى - كما لا يعبدون إلا إياه. وكل حذف أو تأويل ولو كان خلاف الأصل مقدم على عدمه، إذا كان يؤدي إلى التشبيه أو نحوه، والتقدير والتأويل هما المناسبان لقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ (الشورى 11)، المتفق عليه، ولكونه لا يتحيّز ولا يتجه، ولا يتجسم، كما هو المتفق عليه ولكونه المنتزه لا تدركه عن الحوادث كما هو المتفق عليه، وذلك كله بالذات، وما بالذات لا يتخلف باختلاف الأزمنة، ولتنزهه عن اللون، والطول، والقصر، والغلظة. ورؤيته تنقض هذه الأصول كلها، وتثبت غيبته عن الموضوع الأخرى والتجزي، ولزمهم أن الله محسوس لخلقه، وهؤلاء قوم لا يخفى غلظتهم في بعض الأصول... ووضعوا أحاديث منها: أنه ينظر إليهم وينظرون إليه صباحاً ومساءً، ولا يغني عن مدعي الرؤية دعوى أنها ليست على المعتاد؛ لأن حاصلها الانكشاف، وهو منزّه عنه، ولا يضرهم الانتظار..."⁶⁶.

وهكذا نراه، وفي سبيل إثبات استحالة الرؤية، يسخر كل الأدوات والعناصر والأدلة من عقلية ونقلية، مع ضعف في وجه الاحتجاج عنده، وتقدير الحذف والتأويل مطلقاً إذا كان العكس - الظاهر - يؤدي إلى التشبيه؟! مع أسلوب فيه غمز بأهل السنة القائلين بالرؤية، غير أنه لا يكتفي بذلك بل يتجاوزها، وهو الذي جعل أهل السنة يحذرون من تفسيره، عندما فسر قوله تعالى ﴿يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جبراً...﴾ (البقرة 55) قائلاً "والآية دليل كفر مجيز الرؤية دنيا أو أخرى؛ وذلك لأن إجازتها ولو في القلب إجازة لتكليفه، وتكليفه ممتنع؛ لأن فيها تشبيهاً، وإدراكه بالقلب تكليف لا يتصور بدونه، فلا يصح قولهم: بلا كيف، وتكليفه في القلب بلا تقدير أن تكليفه لغيره هو نفس المحذور"⁶⁷.

واتهام مجيز الرؤية بالكفر يعني كفر السواد الأعظم من المسلمين، والذين لا تقل نسبتهم عن 100/90!!! كيف... وقد أجازته - السواد الأعظم من المسلمين - كإبراً عن كابر.

يقول الرازي - عند تفسير قوله تعالى ﴿إلى ربها ناظرة﴾ (القيامة 23) -: "اعلم أن جمهور أهل السنة يتمسكون بهذه الآية في إثبات أن المؤمنين يرون الله تعالى يوم القيامة..."⁶⁸. ثم بدأ بالرد على المعتزلة الذين ينفون الرؤية وهم - المعتزلة - يشاطرون الإباضية في المسألة ويشايعونهم.

كرامات الأولياء: ابن أطفيش من المؤمنين بالكرامات لأولياء الله سبحانه، فعند قوله تعالى ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم اني لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ قال "... روي أن فاطمة رضي الله عنها أهدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم، فأرسل ذلك إليها أو مضى به إليها مغطى، وقال: (هلي يا بنية)، فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء خبزاً ولحماً، فقال لها: (أتى لك هذا)؟ فقالت: "هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب"، فقال: (الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني إسرائيل)، ثم جمع علياً والحسن والحسين وأهل بيته فأكلوا وشبعوا وبقي الطعام كما هو، فأوسعت على جيرانها". ثم ذكر رواية مشابهة وعقب عليها قائلاً "...وهذا نص من النبي صلى الله عليه وسلم على أن هذا كرامة لفاطمة. وما في الآية كرامة لمريم رضي الله عنهما، ولا معجزة لسيدنا محمد في هذا وزكريا في الآية صلى الله عليه وسلم. والحق أن كرامة الأولياء ثابتة، وأنكرها المعتزلة، فزعم بعضهم إن ذلك إرهاب لعيسى، وبعضهم إرهاب لزكريا، ولا يلزم من الإرهاب لني أن يكون عالماً به."⁶⁹

تيسير التفسير ج 5/173 وما بعدها.⁶⁴

تيسير التفسير ج 5/176.⁶⁵

تيسير التفسير ج 15/427.⁶⁶

تيسير التفسير ج 1/109.⁶⁷

فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر، التفسير الكبير، بيروت، دار إحياء التراث، ج 30/730.⁶⁸

تيسير التفسير ج 2/306.⁶⁹

وهو هنا يتفق مع أهل السنة القائلين بالكرامة لأولياء الله سبحانه. يقول الخازن عند تفسير الآية: "وفي هذه الآية دليل على جواز كرامات الأولياء وظهور خوارق العادات على أيديهم"⁷⁰.

والآن سنمضي مع ابن أطفيش في بعض القضايا الغيبية، والتي تبدأ من موت الإنسان وإلى مصيره يوم القيامة، من جنة أو نار.

عذاب القبر: فعند قوله تعالى ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا...﴾ (غافر 46) قال – بعد أن فسر الآية لغوياً – "والعرض لأرواحهم في أجواف طيرٍ سودٍ مرتين في كل يوم، كما جاء في الحديث به، وروي موقوفاً: وتلك الطيور تصوّر من أعمالهم... والآية دليل على ثبوت عذاب البرزخ فيما قيل، لكن الآية في الأرواح، ووردت أخبار بثبوته للأبدان وفيها أرواحها، وذلك قبل قيام الساعة"⁷¹. فنحن نرى ههنا أن ابن أطفيش يرجح القول بعذاب القبر لكنه للروح فقط، وأما أن يكون للروح والبدن فهو مرجوح عنده.

وعندنا أهل السنة ثبت كذلك العرض بالقرآن الكريم، أي للروح فقط، وأما أن يكون للروح والجسد معا من خلال نوعٍ من الاتصال، فقد ثبت بالسنة، يقول ابن كثير عند تفسيره للآية: "...الآية دلت على عرض الأرواح إلى النار غدوا وعشيا في البرزخ، وليس فيها دلالة على اتصال تألمها بأجسادها في القبور، إذ قد يكون ذلك مختصاً بالروح، فأما حصول ذلك للجسد وتألمه بسببه فلم يدل عليه إلا السنة في الأحاديث المرضية الآتي ذكرها..."⁷². ثم ذكر طائفةً من الأحاديث التي تثبت ذلك، وهي عندنا أحاديث صحيحة، وصلت حد التواتر.

الميزان: فعند قوله تعالى ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة...﴾ قال: "تمثيل لا نتفاء أن ينقص شيء من الأعمال، أو من الجزاء. ولا ميزان حقيقة، كما قال الضحك وقتادة ومجاهد والأعمش، قلت: وهو الحق ولا داعي إلى العدول عنه مع ظهوره، إلى جعلها حقيقةً، وهو غير ظاهر لاحتياجه إلى دعوى تجسيم الأعراس، أو إلى وزن البطاقة، وليست من الأعمال، وإلى دليل من حديث ولا يوجد إلا ما وُضع أو أُنهم بالوضع، فما الميزان إلا كَيْدُ اللَّهِ وقبضته ونحو ذلك من المؤول"⁷³. فنحن نرى أن ابن أطفيش يؤول الميزان ويقول شأن هذه الآية شأن آيات الصفات التي لا يجوز حملها على الحقيقة. ثم يلجئ إلى رد تلك الأحاديث التي وضحت الميزان على الحقيقة لا المجاز، واتهم تلك الأحاديث الصحيحة بالوضع؟! إلا أن ابن أطفيش لا يرسو على برّ فنراه في كتاب له يقول إن الصراط يُحمل على الحقيقة، فعند تفسيره لقوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم): "والمراد من الصراط الدين، ولا مانع من كون المراد به جسراً على النار بين المحشر والجنة، فإن الحق عندي جواز إثباته، وليس كما قال بعض أصحابنا: من قال به مشرك؛ إذ لا حجة على ذلك ولا امارة"⁷⁴.

فهنا نرى ابن أطفيش أكثر مرونةً وألين جانباً فهو يجيز أن يكون الصراط على الحقيقة، ولكن يبقى عنده المجاز هو الراجح كما قدمنا.

وعندنا أهل السنة فقد رجحوا على أن يكون حقيقةً مع جواز حملها على المجاز، يقول الطبري – عند تفسير قوله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً﴾ (مريم 71) –، وبعد أن ذكر التفسيرات الكثيرة "وَأولى الأقوال بالصواب قول من قال: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون، فسنجهم الله، وهوي فيها الكفار، وورودهموها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم، فنجا مسلّم ومكّدس فيها"⁷⁵.

ويقول الماتريدي – بعد تفسيره للآية – "وليس المراد من ذكر (مثقال حبة) و(مثقال ذرة) الذرة، والحبة، ولكن ذكر على التمثيل، أي: لا يفوت عنه شيء ولا يغيب ذلك المقدر من الخير والشر غير فائت عنه ولا منسي، ولكن محفوظ محاسب"⁷⁶. وأما ابن عطية فيقول: "والجمهور على أن الميزان في يوم القيامة بعمود وكفتين توزن به الأعمال ليبيّن المحسوس المعروف عندهم، والخفة والثقل متعلقة بأجسام ويقرنها الله تعالى يومئذ الأعمال، فإذا أن تكون صحف الأعمال أو مثالات تُخلق أو ما شاء الله تعالى"⁷⁷.

مرتكب الكبيرة: ولعل هذا الأصل – عند الإباضية – هو أهم ما يميّزهم عن أهل السنة والجماعة، وهو أن من ارتكب كبيرةً أو أصر على صغيرة كان خالداً في نار جهنم، فهو كافر نعمته لا كافر ملة، وعليه فإن عذابه دون عذاب كافر الملة. فعند قوله تعالى ﴿بلى من كسب سيئاً واحاطت به خطيئته..﴾ (البقرة 81) قال: "...ذنباً كبيراً أو صغيراً أصرّ عليه، فالسيئة تشمل الشرك وما دونه، ولا دليل على تخصيص الشرك. ويدل على ما قلنا قوله في أهل الجنة ﴿وعملوا الصالحات﴾، وقومنا – يقصد أهل السنة – مجتمعون معنا على أن الإصرار محبط للأعمال الصالحات، ودعوى أنه يحبط ثواب الأعمال وبقي ثواب التوحيد، أو دخول الجنة لا دليل عليها... (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لا يخرجون منها، المشركون والفاسقون، والأصل في الخلود الدوام، وحمله على النكث الطويل إنما يصح للدليل، ولا خلاف في دوام الشرك في النار، ومعنى إحاطة الخطيئة به أنها أهلكته، إذ لم يتخلص منها بالتوبة..."⁷⁸ وهكذا يفعل عند كل آية تتحدث عن الذنوب والنار، فعند قوله تعالى ﴿ومن عاد فأولئك أصحاب النار...﴾ (البقرة 275) قال: "وأصحاب الكبائر من أهل التوحيد مخلدون"⁷⁹.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد، لباب التأويل في معاني التنزيل، ت محمد علي شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1415/3، ج 1/241،⁷⁰
تيسير التفسير ج 12/362⁷¹

⁷² ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ت سامي سلامة، دار طيبة للنشر، ط 1420/2، ج 148/7.

تيسير التفسير ج 9/296⁷³

⁷⁴ جامع الشمل ج 2/90

جامع البيان ج 234/75⁷⁵

تأويلات أهل السنة ج 350/76⁷⁶

77- ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز إلى تفسير الكتاب العزيز، عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط 1422/1، ج 85/4⁷⁷

تيسير التفسير ج 1/185⁷⁸

تيسير التفسير ج 2/198⁷⁹

وعندنا أهل السنة أن مرتكب الكبيرة غير مخلدٍ في النار، فهو إما أن يدخل النار لفترةٍ ثم يخرج منها، أو يغفر الله له، بدليل قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ...﴾، وأما ما ذهب إليه الإباضية من كون معنى الخطيئة ههنا الذنب، فغير مسلم به، بل المقصود هنا الشرك⁸⁰. ويقول السمرقندي: "بلى، أي: يخلد فيها من كسب سيئته، يعني الشرك وأحاطت به خطيئته، أي مات على الشرك"⁸¹. ويقول الرازي - بعد أن بين أن القول بخلود أهل الكبائر هو قول الخوارج والمعتزلة -: "...وختلف أهل القبلة في وعيد أصحاب الكبائر، فمن الناس من قطع بوعيدهم، وهم فريقان، منهم من أثبت الوعيد المؤبد، وهو قول جمهور المعتزلة والخوارج... والقول الثالث: أنا نقطع بأنه سبحانه وتعالى يعفو عن بعض المعاصي، ولكننا نتوقف في حق كل أحدٍ على التعيين أنه هل يعفو عنه أم لا، ونقطع بأنه تعالى إذا عذب أحداً منهم مدةً فإنه لا يعذبه أبداً، بل يقطع عذابه. وهو قول أكثر الصحابة والتابعين وأهل السنة والجماعة وأكثر الإمامية..."⁸².

الشفاعة: وهذا المسألة وثيقة الصلة بالمسألة السابقة - مرتكب الكبيرة - فعند قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ (البقرة 123) قال: "والآية دليل لنا، وللمعتزلة على أنه لا شفاعاة لأهل الكبائر؛ لأن الآية ولو كانت في المشركين، لكنها في صفة يومٍ من شأنه أنه لا شفاعاة فيه بدفع العذاب عن مستحقه، ولا مقام أو زمان من مقامات الموقف وأزمته، نص فيها على ثبوتها للفساق، ولا لشخصٍ مصرٍ"⁸³.

وهذا أيضاً مخالف لما عندنا أهل السنة من ثبوت الشفاعاة للعصاة، بشرط وجود الإيمان، استناداً إلى الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة. يقول الطبري - عند تفسير قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (آل عمران 9) قال: "...وخُلف الوعد نقص منافع للكمال الذي هو مقتضى الألوهية، ولن يخلف الله وعده فلا بد من ذلك اليوم، وللتأكيد وضع لفظ الجلالة ظاهراً مع عاماً في التلاوة، فإن المراد بها خاصٌّ في التأويل لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)... فقد تبين بذلك أنه جل ثناؤه قد يصفح لعباده المؤمنين - بشفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لهم - عن كثير من عقوبة إجرامهم بينهم وبينه. وإن قوله (ولا يقبل منها شفاعاة) إنما هي لمن مات على كفره غير تائبٍ إلى الله عز وجل..."⁸⁴.

وعد الله ووعيده: الإباضية يوجبون الإيفاء بالوعد والوعيد لأن عدم الإيفاء نقص، والله منزّه عن النقص، فعند قوله تعالى ﴿...إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (آل عمران 9) قال: "...وخُلف الوعد نقص منافع للكمال الذي هو مقتضى الألوهية، ولن يخلف الله وعده فلا بد من ذلك اليوم، وللتأكيد وضع لفظ الجلالة ظاهراً مع أن الموضوع موضع (إنك)، سواء قلنا باشتقاقه وتغلب الاسميه وملاحظة معنى الاشتقاق أم لا. وخلف الوعد خيراً أو شراً نقصاً؛ لأنه إما عن كذبٍ، أو ظهور أمرٍ يستحق الخلف لأجله قد خفي قبل، أو حدوث أمر كذلك، والله منزّه عن الكذب وجهل الحال والعاقبة"⁸⁵.

وعندنا أهل السنة أنه لا يجب على الله سبحانه، وتحقيق الوعد والوعيد بمقتضى إرادته ومشيتته. يقول البيضاوي: "... (إن الله لا يخلف الميعاد) فإن الإلهية تنافيه، وللإشعار به وتعظيم الموعود لَوْن الخطاب، واستدل به الوعيدية. وأجيب بأن وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة، كما هو مشروط بعدم التوبة وفقاً"⁸⁶.

وبعد:

فهذا هو منهج ابن أطفيش في تفسيره⁸⁷ وهو يفسر الآيات التي تتحدث في العقيدة، وقد رأينا - رحمه الله - مفسراً إباضياً يعتد بنفسه وبمذهبه، ورائده في ذلك النقل ثم العقل، لكنه خالف هذا المنهج في بعض المواضع، انتصاراً للمذهب - كما أرى - وقد أعطى المجاز - التأويل عنده - قدراً زائداً عن الحد والحاجة، وهو بريء من تهمة استعمال التقيية؛ تقريباً إلى أهل السنة، بل كان يكتب ما يؤمن به ويعتقده. وهذا ردٌّ على من اتهم الجماعة، ومنهم ابن أطفيش، بأنهم يريدون التقرب إلى جمهور أهل السنة من باب التقيية؟! وكان هادئاً في أسلوبه ومنهجه خلا بعض المواضع القليلة التي رأيناها يقسو على أهل السنة والجماعة. ولذا أستطيع أن أختتم بحثي هذا بالقول: إن ابن أطفيش كان ابن بيئته البارّ تماماً.

الخاتمة

وقبل أن أضع القلم جانباً، أود أن أختصر ما سبق في أسطرٍ قليلة، ألملم أشتاتة وأبرز أهم ما توصلت إليه وأنا أدرس في تيسير التفسير لابن أطفيش الإباضي، في الجانب العقدي، فأقول:

- إن المفسر ابن أطفيش إباضي المذهب، وأنه عالج القضايا العقدية من المنظار الإباضي،
- إن الإباضية ليسوا خوارج، كما يُقال عنهم، بل يختلفون عنهم، في كثيرٍ من القضايا، وأنهم لا يحملون قسوة الخوارج ولا ظاهرهم في قراءة القرآن الكريم.
- إن الأصل في قضايا العقيدة - عند الإباضية - النقل قبل العقل، وأما عن أسماء الله سبحانه وصفاته فهي توقيفية.

الطبيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية ط3/1419 هـ ، ج1/157 ، 80 - انظر ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أسعد محمد

وتأويلات أهل السنة 1/ 501

بحر العلوم 1/ 68⁸¹ .

التفسير الكبير 3/ 569⁸² .

تيسير التفسير ج1/ 93⁸³.

جامع البيان ج1/ 33⁸⁴.

تيسير التفسير ج2/ 249⁸⁵.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل⁸⁶ 2/ 7

- إن أهم ما خالفت فيه الإباضية أهل السنة والجماعة - في العقيدة - تتمثل في:

- 1- أن أسماء الله وصفاته الذاتية هي عين ذاته، أي ليس هناك أمرٌ ثانٍ غير ذاته العلية.
- 2- تأويل آيات الصفات دائماً، وأهل السنة يجيزون الحمل على الحقيقة كما يجيزون التأويل.
- 3- الإباضية لا يجيزون رؤية الله في الدنيا والآخرة، بخلاف أهل السنة الذين يثبتون الرؤية في الآخرة.
- 4- يقولون بخلود أهل الكبائر في النار، وأنهم كافرون كفر ملة لا عقيدة.
- 5- لا يؤمنون بالشفاعة للمذنبين.
- 6- إن عذاب القبر للروح فقط.

التوصيات:

- وهذه بعض التوصيات ، وقد كانت تجول في صدري وأنا أكتب هذا البحث، أسجلها ههنا والأمل كبير أن تلقى أذاناً صاغية ، فتكون في خدمة التواصل بين المسلمين، وتضييق شقة الخلاف، في عصرٍ تعالت فيه صحبات التكفير والتبديع والتفسيق. وهذه التوصيات هي:
- 1- إقامة مؤتمرات علمية يكون محورها الاطلاع على تفاسير الفرق الإسلامية المختلفة، بغية التعارف والإفادة.
 - 2- التبادل العلمي والأكاديمي بين جامعاتنا - أهل السنة - والجامعات التي تهتم بالتراث الإباضي، ولا سيما في سلطنة عُمان؛ كونها تدين بالمذهب الإباضي.
 - 3- التواصي بتخفيف لغة التكفير للمخالف، ومحاولة استبدالها بمصطلحات أكثر دقة، كالتخطئة، والاختلاف؛ بغية إمكان اللقاء والحوار.

قائمة المصادر والمراجع

- الأشعري، أبي الحسن، علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، دار إحياء التراث، عنب به هلموت ديتز، ط3، د.ت
- الإيجي، عضد الدين عبدالرحمن أحمد، المواقف في علم الكلام ، عالم الكتب، د.ط، د.ت
- ابن أطفيش، شرح النيل وشفاء العليل ، المطبعة السلفية، القاهرة.
- ابن أطفيش، الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص، ت أبو إسحاق، دن، ط1980/2م
- ابن أطفيش، تيسير التفسير، ت إبراهيم محمد طلاي، ط1425/1
- ابن أطفيش، كشف الكرب، مسقط: وزارة التراث والثقافة. ط1405/1 هـ
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1326/1
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري بشرح البخاري، ت مجموعة، دار ريان، المكتبة السلفية، ط3،
- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، تفسير القرآن العظيم ، أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار الباز، المملكة العربية السعودية، ط1419/3 هـ
- ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد، مصنف أبي شيبة، ضبط كمال يوسف الحوت
- ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية. ت: مجموعة من العلماء، ط1407/1المكتب الاسلامي
- ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز إلى تفسير الكتاب العزيز، عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1422/1 هـ
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ت سامي سلامة، دار طيبة، ط1420/2.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ت سامي سلامة، دار طيبة للنشر، ط1420/2
- أبو منصور الماتريدي، محمد بن محمد، تأويلات أهل السنة، ت مجدي باسلوم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1426/1
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ت عبدالرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1420/1
- البيضاوي، ناصر الدين، عبدالله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ت محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1418/1
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، في السنن الكبرى، مكتبة الباز للنشر عن طبعة الهند، د.ت

الجويني، إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ت محمد يوسف موسى وعلي عبد الحميد مطبعة السعادة، مصر، د.ت

الجيظالي، إسماعيل بن موسى، قواعد الإسلام، ت أحمد الشيخ أحمد، مكتبة الضامري، سلطنة عُمان، ط5/1436 هـ

الحموي ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2/1995م

الغازن، علاء الدين علي بن محمد، لباب التأويل في معاني التنزيل، ت محمد علي شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط3/1415 هـ

الخليلي، بدرالدين أحمد بن حمد، الحق الدامغ، دن، ط/1409 هـ

الرواحي ناصر بن سالم، نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر، مسقط سلطنة عمان، ط1

الريستاق، خميس بن سعد، منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، ت سالم الحارثي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان، د.ط، د.ت، 1/1420 هـ

الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، دار العلم للملايين، ط2002، 15م

السالمي، نور الدين أبي محمد عبدالله، مشارق أنوار العقول، ت عبدالرحمن عميره، دار الجيل، ط1/1409 هـ

السالمي، أبو محمد عبدالله، بهجة أنوار العقول ط الموسوعة بمصر

سلمان بن داود بن يوسف، الخوارج هم أنصار الإمام علي، دار البعث، الجزائر

السيابي، سالم بن حمود، الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية في اليمن، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط ١٤٠٠ هـ،

السيابي سالم بن حمود، إزالة الوعناء عن أتباع أبي الشعثاء، ت سيدة إسماعيل، مطابع سجل العرب، القاهرة 1979

السيابي سالم بن حمود شامس، طلاقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ط/1400 هـ

الشكعة مصطفى، إسلام بلا مذاهب، دار المصرية اللبنانية، د.ط/1987 هـ

الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ت أحمد شاکر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1/1420 هـ

عادل نويض، معجم أعلام الجزائر حتى منتصف القرن العشرين،

عدون جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية، مكتب الضامري، سلطنة عُمان

علي يحيى يعمر، الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة وهبة، ط1.ت

عوض محمد خليفات، نشأة الحركة الإباضية، د.ط/1978 هـ

فخر الدين الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر، التفسير الكبير، بيروت، دار إحياء التراث،

كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي بيروت،

محمد علي ديبوز، تاريخ المغرب الكبير، دار إحياء الكتب، القاهرة، ط1960

المسعودي، أبو الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به كمال مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1/1425 هـ.

الفضية في أصول الإباضية، وزارة التراث والثقافة، عُمان، ط2/1438 هـ.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ت يوسف بديوي، بيروت، دار الكلم، ط1/1419 هـ.